تجليات الرّمز ودلالته في ديوان "صحوة الغيم" للشاعر عبد الله العشي

Manifestations of the symbol and its connotations in the poet "The Guim Awakening" by the poet Abdullah Al-Ashi

الاسم الكامل للباحث:ط. د الحبيب عبيدات

مؤسسة الانتماء (البلد): جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

مخبر تعليمية اللغة العربية والنص الادبي في النظام التعليمي الجزائري الواقع والمأمول

البريد الالكتروني للباحث:abidatelhabib@gmail.com

تاريخ الارسال:2020/08/12	تاريخ التقييم2020/12/28	تاريخ القبول2020/12/30

الملخص

تعالج هذه الورقة البحثية تجليات الرمز ودلالته في ديوان "صحوة الغيم" للشاعر عبد الله العشي كنموذج للدراسة، حيث يعدّ الرمز من أهم الظواهر الفنية التي شكلت نمطا جديدا في الشعر الجزائري المعاصر، ووسيلة حديثة متعالية في الأداء الشعري، اهتم الشعراء بتوظيفه وإثرائه بعد أن وجدوا فيه أداة تعبيرية مفعّمة بالإيحاء لها القدرة على التوصيل والتأثير، أكسبت القصيدة المعاصرة بنية فنية ودلالية. فكيف تجلّى الرّمز، وما هي دلالته في ديوان صحوة الغيم؟

كلمات مفتاحية: تجليات؛ الرمز؛ الدلالة، الشعر الجزائري

Abstract:

This research paper deals with the manifestations of the symbol and its connotations in the poet "The Guim Awakening" by the poet Abdullah Al-Ashi as a model for the study, where the symbol is considered one of the most important artistic phenomena that formed a new style in contemporary Algerian poetry, and a modern and superior method in poetic performance. The poets were interested in employing and enriching it after they found In it an expressive and suggestive tool that has the ability to communicate and influence, the contemporary poem has acquired an artistic and semantic structure. How was the symbol manifested, and what is its significance in the " TheGuim Awakening " book?

المنارة للاستشارات
ww

Key words: manifestations; code; Indication;Algerian poetry.

*المؤلف المراسل.

1. مقدمة:

لقد رفض رواد شعر التفعيلة الاكتفاء بعناصر الصورة التقليدية، كونها لم تعد قادرة على نقل الواقع في صور أكثر قوة وتأثيرا في المتلقي، فعرجوا بذلك إلى خلق عناصر جديدة تحمل صورا جديدة قادرة على نقل المعنى وإيصاله في صور متميزة، متفردة، تدهش كل من يقف عندها، تخاطب كل الأجيال لأنها ليست حكرا على أحد بل هي ملك الكل. فمن أبرز تلك العناصر: الرمز، حيث لمسوا فيه وسيلة للتعبير الحق عن الوضع الراهن، سياسيا واجتماعيا، وقد كان لجوؤهم إليه نتيجة سببين: أولهما ظروف الحياة الجديدة وثانيهما تأثّرهم بشعراء الغرب.

إنّ لغة الشعر لغة إحالية، تحاول الابتعاد عن اللغة المعجمية التي حرص واضعو ا المعاجم والقواميس على الحفاظ عليها، من حيث هي الخيط الرابط بين كل أبناء الأمة الواحدة، فاللغة تجاوز مستمر، وتخط دائم لهذه الدلالة، فالشعراء كثيرا ما يؤكدون- أكثر من غيرهم- أن اللغة تعجز في أحيان كثيرة عن التعبير عما يعتمل في النفس من انفعالات، ولهذا وفي هذه اللحظة الحرجة من رحلة ميلاد القصيدة، يأتي الرمز باعتباره المخرج الوحيد من ورطة الصمت المطبق، ومن هنا فالرمز "وسيلة إيحائية من ابرز وسائل التصوير الشعرية التي يبتدعها الشاعر المعاصر عبر سعيه الدائب وراء اكتشاف وسائل تعبير لغوية، يثري بها لغته الشعرية، ويجعلها قادرة على الإيحاء بما يستعصي على التحديد والوصف من مشاعره وأحاسيسه وإبعاد رؤيته الشعرية المختلفة، فالرمز إذا اكتشاف شعري حديث "[1].

ويعرّف أدونيس الرمز بأنه: " اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة أوهي القصيدة التي تتكون في وعيك بعد قراءة القصيدة، انه البرق الذي يتيح للوعي أن يستنزف علما لا حدود له "[2]. فالرمز لغة إيحائية يلجا إليها الشاعر للإفصاح عن أبعاد لا يستطيع الإفصاح عنها، كونه الوسيلة التي يعبر بها عن تجربته.

المنارة للاستشارات
ww

ويعرّفه " كارل يونغ" : " وسيلة ادراك يستطيع التعبير عنه بغيره، فهو اقل طريقة ممكنة للتعبير عن شيء لا يوجد له، أي معادل لفظي، وهو بديل عن شيء يصعب أو يستحيل تناوله في ذاته"[3].

ومن هنا فقد ارتبط مفهوم الرمز بالمعنى اللغوي يمتاز بالإيحاء وغير المباشرة.

ومما سبق ذكره يمكننا القول أن الصورة الشعرية تستمد جمالياتها ورونقها من استحضار الشاعر للرموز، فهي تسهم في إثراء النص بلاغيا وأسلوبيا وتمده بشحنات دلالية تجعل المتلقين يقبلون عليه. وهكذا "يبقى أن الرمز هو القادر على تحطيم أطر اللغة لينطلق في عالم من التحليقات اللانهائية. وحده الرّمز يهب النص خلودا من خلال سياقه الذي تتحاور معه مخيلة القارئ، لتنتج دلالات ذات مرجعيات مختلفة، مرجعيات تحددها الخلفية الفكرية والثقافية والفلسفية للمتلقي"[4].

فالرمز إذن محاولة لصياغة العلاقة اللغوية بحيث تصبح قابلة للانتقال من المعنى الوضعي المحدد إلى أفق مفتوح يغذيه الإيحاء.

هكذا غدا الرّمز شكلا جديدا وقالبا يفرغ في الشعراء مشاعرهم ويعبرن من خلاله عن مواقفهم النفسية و الاجتماعية والسياسية... ، ينم توظيفه عن نضج التجربة الشعرية و التفكير العميق؛ لان استعمال الرمز يرتبط بالتجربة الشعورية التي يعيشها الشاعر، والتي تمنح الأشياء مغزى وخصوصية مميزة.

وهذا ما أحاول تبيانه من توظيف الرمز في شعر عبد الله العشي الذي يعد من رواد الشعر الجزائري المعاصر وأكثرهم استخداما لظاهرة الرمز في شعره.

وفيما سيأتي سوف نعرض أهم أنماط الرمز المختلفة التي وظفها الشاعر في ديوانه ومنه:

1. الرّمز الطبيعي:

كانت الطبيعة ولا تزال الملهم الأول لأرباب الفن لا سيما الشعراء ذلك أن الطبيعة ترافق الشاعر بمظاهرها طول حياته، ويستوحي منها عناصر تجربته الشعرية، لذلك عالج الشعراء الطبيعة في مختلف العصور وأمعنوا في وصف مظاهرها، لأنهم أدركوا معالم الجمال فيها، فقاموا بتصويرها في شعرهم تصويرا صادقا ونقلوا حركاتها وأصواتها نقلا أمينا.

المنارة للاستشارات
ww

التفت الشاعر المعاصر إلى الطبيعة وأدخلها في نسيج فكرته العامة وشكواه الصارخة ضد الأحياء، ومال بها نحو التأمل والعبرة، فقد غدت كتابا مليئا بالرموز الموحية التي تعبر عما يجول في دواخله، وبما يستمده من مجتمعه، فالشعراء "اعتادوا أن يرمزوا بالمطر والخير إلى التغيير والثورة، واعتادوا أن يرمزوا بالقحط والجفاف والخراب إلى القهر والتسلط والاستبداد والعبودية، وبالصحراء يرمزون إلى الخواء الروحي والفقر المادي، وبالأغنية يرمزون إلى الشعر الصادق الذي يتم توظيفه في معركة الحياة " [5] فمن تلك الرّموز يستلهم الشاعر دلالات متعددة ويمنحها أبعاد مختلفة، ويختار طرق وأساليب توظيفها، حيث تصنف بعد ذلك بحسب سياقاتها ودلالاتها، فهي ترتبط بالتجربة الشعرية للشاعر ومذهبه الفني، ورؤيته الفلسفية.

والشاعر "عبد الله العشي" كغيره من الشعراء المعاصرين، قد لجاء إلى الطبيعة، بحيث حاز ديوانه "صحوة الغيم" عناوين من الطبيعة منها: جفن الغمام، دال بقطر الندى، سر الغيم الضحى...

حَفل الديوان بالرموز المستمدة من الطبيعة والتي اخترنا بعضها على سبيل الذكر لا الحصر، لأنه سبق وأن تعرضنا لها في دراستنا المعجمية للديوان، ومن هذه الرموز: (القمر، الصباح، الحقل، الرمل، الصهد، الزهرة الألوان، الفجر،الرياح، الصحو، الضياء، موجة، الغيوم، عسل، المياه، الفضاء، الندى السحب، الزهرة، وردة، قصب، الساقية، الحديقة، الصوت، البنفسجة، الزيتون، الأعناب الذبول، الثمار، اللون، الرمل، الملح، الموج، الطين، النهر، الرخام، السماء، الأرض الفصول، الغمام، الصيف، الربيع، الجمال، الشمس، النجوم، السحب).

من الصعب تتبع كل الرموز في ديوان "صحوة الغيم" لكثرتها وتنوعها ولكن يمكننا تسليط الضوء على بعض الرموز البارزة، ذات الحضور المكثف مثل: الصباح والفجر والضياء والنور والنهار.

لقد ركز الشاعر على رمز الصباح بشكل لافت، بما يشكله من دلالات، تتعانق مع دلالة غيره من الرموز التي تشاركه الحقل الدلالي نفسه، فالصباح يمثل للإنسان بداية اليوم بآماله وأحلامه وتطلعاته، هو بداية يوم يسعى فيه لتحقيق ما عجز عن تحقيقه في اليوم الذي

المنارة للاستشارات
ww

سبقه. فلفظة الصباح وشقيقاتها هيمنت على "الديوان" لتعبر تارة عن الحسرة والتوجع، وتارة على الترقب والانتظار وأخرى على التفاؤل والأمل، يقول الشاعر في قصيدته "ألف الأسماء":

" في الصباح الذي ضاع من يومنا...

كنت اسند ظهري على موجة"[6]

يعبر الشّاعر عن حسرته وتوجعه بضياع الصباح من يومه، فضياعه هو انحسار للنور والضياء في حياته، إلا أن الشاعر متأكد من أن دوام الحال من المحال، ويعتقد جازما، أن الصباح سيعود لذا ظل في حال من الترقب والانتظار لعودة الصباح من جديد فيقول:

"أعد ا لزمان

ساعة. . . . . ساعة

في تفاصيل أيامنا "[7]

ففي لحظة الضياع تلك، كان الشاعر يرسم حلمه على الرمل، ويعبر ظله، ويحفر في المدى ليبلغ ذاك المساء المنتظر.

يعبر عن ذلك بقوله:

" في الصباح الذي ضاع من يومنا. . .

كنت أرسم حلمي على الرمل. .

أعبر ظلي . .

أحفر هذا المدى باستعارتنا.

.....

.....

في المساء "[8]

ويبعث الشاعر برسالة ملؤها التفاؤل والأمل، أمل بعودة الصباح، ذاك الصباح الذي سيسأل عنه، وعن كل الذين تشبعت قلوبهم بروح الأمل في الغد المشرق. فيقول:

" سيعود الصباح ويسأل عنا

وليكن ما يكون "[9]

المنارة للاستشارات
ww

فالصباح سوف يعود ويسأل عنه وعن كل الذين امتلأت قلوبهم بالأمل، مهما كانت الظروف والأحوال، وسيحمل لهم من البُشْريات الكثير، لذا يردف قائلا:

" سوف يجمعنا بتفاصيلنا

سيظللنا قمر في الغياب. . .

ويضيء لنا القمر آخر في الحضور"[10]

إنه صباح مشرق سيجمع الكل بأحبته، بآمالهم، بأحلامهم، بكل التفاصيل في حياتهم، وسيظللهم قمر في الحضور، ويضيء لهم آخر في الغياب. ويتابع الشاعر حديثه عن الصباح فيقول:

"ستجيء الصباحات تصنع أحلامنا"[11]

إنها صباحات وليست صباح واحد، صباحات مشرقة، صباحات ستحمل تباشير الفرح، صباحات ستصنع الأحلام، وستحمل معها الكثير مما ضاع في الأيام السابقة وهوما يكشف عنه قوله:

"وتعيد إلي وقتنا وهج ألوانه

وتعيد إلينا تلاوتنا

وتجيء الأماسي. . .

ترد إلى نهرنا دفق أمواجه

وترد إلينا تباريحنا "[12]

صباحات حبلى بالخير، إنها أشبه ما تكون بالغيمة الممطرة، وهذا ما سيجعلها تعيد للوقت وهج ألوانه، وترد إلى النهر دفق أمواجه، صباحات ستجيء معها الأماسي تحمل لحظة الخلاص التي طالما انتظرها الشاعر.

2. الرمز الصوفي:

استهل الشاعر ديوانه "صحوة الغيم" الذي طاف فيه بأبجدية الحروف العربية "فالحروف أمة من الأمم تصنع الممالك وتصور الوقائع وترسم فضاءات النص وأكوان الرؤيا"[13]، فمن خلالها شكل الشاعر رؤيته الشعرية، في رحلة تتجاور المألوف السائد إلى عوالم

المنارة للاستشارات
ww

إبداعية ترسم حالة الشاعر وهو يحاور اللغة وأساليبها وصورها لإنتاج نصوص تدل على تميزه وتفرده في هذا المجال.

يفتتح الشاعر ديوانه بقصيدة "فاتحة الأبجدية" بالتضرع إلى الله في موقف الناسك ا لمتذلل المتعجب من حال لا يتناسب وغزارة النعم التي منّ الله تعالى بها عليه ولعل أجلها على الإطلاق نعمة العقل والكلمة التي خُصّ بها بنو آدم دون سائر الخلق

يقول الشاعر:

" الله يا الله

أنرت من أمامه أضواءك الخضراء

فاساقطت على يديه

لكنه. . .

منطفئ القلب، كل نبض فيه

مدينة عمياء.

الله يا الله"[14]

هنا تتجلى اللحظة الصوفية في الصورة الخيالية لتنزّل نعم الله تعالى، في قوله:

"أنرت من أمامه أضواءك الخضراء

"فاساقطت على يديه"[15]

لكن الإنسان من طبعه الجحود، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُود ﴾ الآية ﴿ ٦ ﴾ "سورة العاديات"،فنعمة النور لم تثمر المؤمل منها من الهداية ولم تتجل بالقدر الذي يعكس جلال النعمة وعظمتها فهو كما يقول الشاعر:

"لكنه....

«منطفئ القلب، كل نبض فيه

مدينة عمياء"[16]

بين الموقف الأول والثاني وبين الذات المتعالية السابحة في ملكوت الأنوار الخضراء والذات المنطفئة القلب، يتناص الشاعر مع القرآن الكريم، ليستحضر المتلقي قصة السيدة مريم

المنارة للاستشارات
ww

العذراء، وهوما دلت عليه القرينة "فساقطت"، وهي لفظة دالة على المبالغة والحركة وكثرة الخيرات. التي تجلت في قوله:

"فاسّاقطت على يديه"[17]

في هذا المقام يبرز جدال بين الشكر والجحود يبين الحالة التي يعيشها الشاعر فهو كما سبق الذكر يتأرجح بين مقام صوفي تنكسر فيه نفسه أمام خالقها وبين واقع مظلم يعيشه. عبر عنه بقوله:

"منطفئ القلب، كل نبض فيه

مدينة عمياء"[18]

يقف الشاعر وهو يرنو إلى المستقبل من خلال واقعه ذاك يتأمله وهو ينشد لحظة الصحو مستغيثا بمولاه خاتما أبجدية الحرف وأبجدية النعم، بقوله:الله يا الله.

ينطلق بعد ذلك الشاعر إلى تفصيل الأبجدية حرفا حرفا فيطوف بها من حكمة الباء إلى ياء السلام تتجاذبه ثنائية ضدية الظلمة والنور والإشراق والانطفاء. إنه كونه الشعري الذي تتعالق فيه رؤيته الصوفية وواقعه التأملي، ففي قصيدته "ألف الأسماء "، تطغى لفظه " الصباح" على النص الشعري التي كررها الشاعر كلازمة قائلا:

" في الصباح الذي ضاع من يومنا

كنت اسند ظهري على موجة"[19]

إن ضياع الصباح وضعف النور مع حال الغيم تلك، تجعل للصحو قيمة هامة للحياة، فالحياة سلسلة من التعاقبات والتكرارات، فالظلمة يعقبها النور والليل يتلوه الفجر، والشاعر في حيرة يترقب وينتظر لحظة الصحو وانقشاع الغيم وإطلالة الفجر معبرا عن ذلك بقوله:

" أعد الزمان

ساعة. . . . . ساعة

في تفاصيل أيامنا"[20]

ويأمل الشاعر بعد طول الانتظار أن تحل ساعة الأمل ولحظة الانعتاق من هذا الواقع المظلم فيقول:

"سيعود الصباح ويسأل عنا

المنارة للاستشارات
ww

وليكن ما يكون

سوف يجمعنا بتفاصيلنا

سيظللنا قمر في الغياب. . .

ويضيء لنا القمر آخر في الحضور

سيعود الصباح خجولا ويسأل عنا

سنفتح أحلامنا لهاءاته. . .

ونعانقه عند أبوابنا. . . "[21]

إنه إيمان راسخ وعقيدة ثابتة عند الشاعر بحتمية انتصار النور على الظلمة فالصباح سيعود لا محالة، ويحل الصحو بدل الغيم الذي حجب النور.

وفي لحظة من الصفاء الروحي، يقف الشاعر عند منحدر الضوء، يجد نفسه في حالة من التأمل العميق، تتنزل فيه أنوار الحكمة الربانية، ها هو ينظر إلى شعاع من النور يتسرب بين الغيوم، لينتشله مرة أخرى من واقعه ويطير به إلى فضاء الرؤية التي عبر عنها في قصيدة "حكمة الباء" بقوله:

" في الفضاء البهي البعيد

عند مبتدأ الضوء والصوت والكلمات

لا نشيد سوى بوحها

منه تولد أفراحنا

وتتيه بمعراجهن السحب"[22]

وفي لحظة التأمل تلك، يحاور الشاعر أوليات الخلق حيث الفضاء البهي البعيد، ليصنع كونه الشعري الخاص ويعزف ترانيم نشيده ليرسم صورة للصباح الذي يتوقعه، صباح تتولد عنه لحظات للمكاشفة والإبداع. ويعبر عن خصوصية الصباح الذي يتوقعه بقوله:

"لي صباحي ولي زهر أغنيتي

لي فجري اطويه وانشره"[23].

في مقام التصوف ذاك، يترجمه حال الحلم المتولد عن عقيدة راسخة، يعبر الشاعر عن رفضه لواقعه المتلبد بالغيوم، التي تحجب النور وتمنعه بقوله:

المنارة للاستشارات
ww

" سوف أغمض عيني
حتى أرى كل شيء؛
من البئر. . .
حتى محط الحمام "[24]

يمضي الشاعر في معراجه، وفي أسمى صور الحلم الصوفي، وكأنه يعود إلى أصل النبع، إلى لحظة البدء وأول الخلق، ليتخذ من الروح ومن الطبيعة لون البنفسجة الدالة على علاقة الحب بين الخالق والمخلوق فيقول:

"هاهنا:
وكأني أعود إلى النبع. . .
أولد عند بنفسجة
علمتني الكلام. . .
وأرخت علي جدائلها السبع. . .
كيما أنام" [25]

يمضي الشاعر مستغرقا في مناجاته، سابحا في عالم الملكوت، فيقول:

"عندما يورق العمر. . .
يأخذ ألوانه. . .
من بساتين أحلامنا
ويزين أيامه كل صبح
بزيتوناوبأعنابنا"[26]

فالشاعر يرى ذاته مورقة، تأخذ ألوانها من بساتين أحلامها، يزين أيامها كل صبح بما فيه من زيتون وأعناب، وبذلك تستحيل حياته جنة غناء، إنه الهروب من واقعه المظلم القاحل، إلى مقامات النور والخصب، فواقعه حين تذبل أغصانه، يستقي ماءه من بساتين أمواهه تلك.

يستطرد الشاعر مصورا ذاته روحا خالدة، لا يطالها الفناء، فيقول في قصيدة "تاء لذاكرة البنفسج":

"كنحن أول ما كان في أول الكون

المنارة للاستشارات
ww

آخر ما سوف يبقى

لنا هبة الروح في خفقة الرمل

هذا نشيدي وهذاك ملح

تلك مراكبنا صحوة. . .

وخطانا على الموج بوح"[27]

إنها ذات الشاعر تتجلى في خفقة الرمل، وفي بوح الموج، تتلذذ بلحظات التعالي زاهدة في صورتها الآدمية وواقعها الأليم ، ويمضي الشاعر ناشرا جمال أحرفه في موجود غير معين، إلا أننا إذا أردنا أن نفتح نافذة على التأويل، فالشاعر يقصد قصائده، فيقول في قصيدة "ثاء تغزل ليل(ها)"

"أشرقت:

تلك عينان من غسق غزل الليل جفنيها.

من دجى الكون تحتفلان. . .

وتختصران المسافة بين السماوات والأرض. إني أرى:

ضاق بي الأفق. إني؛

قمرا ذاب في فيضه وأرا(ها). .

تتوج بالظل بستانها"[28]

تطغى الإشارة والرمز في ديوان "صحوة الغيم" ويحل التلميح مكان التصريح لارتباط الشاعر وجدانيا بالطبيعة، فنجده يشبه قصيدته بالقرنفلة تارة وتارة بالقمر وأخرى بالبنفسجة، مدللا عليها بالضمير المتصل (ها)، فيقول:

" (ها) تذري الهباء على وجنة الريح. .

(ها)لغة حكت الأبجديات ترحالها

وقرنفلة سكبتها الفصول. . .

واخفت تواشيح(ها)

(ها) قناع يؤجلني. . .

ويؤجل إسفار (ها) "[29]

المنارة للاستشارات
ww

يمضي الشاعر عبر تتالي الحروف ولعبة الانزياحات معبرا عن دفقته الشعورية، في خط تصاعدي، لتكثيف الدلالات على مستوى العنونة لتكون أكثر دقة في التعبير عن حالة الانتظار المشوب بالصدمات والانكسارات في قصيدته الموالية "جفن الغمام"، مصورا عودته إلى الواقع . فيقول وقد غابت أطيافه وانقضت لحظة التسامي، وما زلت حالة الصح وحلما متوقعا فالغيم قد سربل كل شيء:

" كنت وحدي أجر الخطى متعبا
بين حلم يفتح أيامه
وصدى غارق في الزحام"[30]

تستمر معاناة الشاعر ويستمر الانتظار والترقب، والشاعر يتأرجح بين واقعه المؤلم وبين حلمه الذي طال انتظاره، حلم توقع معه الصحو وانقشاع الغيم، وهكذا يصبح هاجس الزمن وفكرة الانتظار حالة ملازمة لمكاشفات الشاعر، تجعله مستسلما لمثله سابحا في عالم التأمل والمناجاة.

وعبر أحرف الأبجدية يظل يتراوح بين واقعه والعالم العلوي، إلى أن تحين لحظة نزول الناسك من مقام التجلي، إلى عالمه الواقعي، والى ذات اللحظة وإلى حروف أبجديته غير راض عن أدائها، مهددا متوعدا، في ثورة شك لطالما لازمت لحظات نزوله من مقامه العلوي فيقول:

" سأغير حبري
وأغير أبجديات
وأسطورة من دم كذب
أخطأتها حروفي
وأعيد مياهي إلى نبعها
وأناشيد صمتي إلى بوحها
وأعيد النهاية وهما إلى بدئها
ثم أمضي. . .
وخلفي صدى صامت وحطام" [31]

المنارة للاستشارات
ww

وينهي الشاعر طوافه من حيث ابتدأ، فتكون كلماته الأخيرة هي نفس كلماته الأولى، في انسجام ذهني مشتعل وروح حالمة وعقيدة مطمئنة إلى ربها بالدعاء والتضرع، فأول كلماته، كانت:

"الله يا الله "، وآخرها كانت قوله:

«السلام... السلام ... السلام

السلام.. السلام

السلام"[32]

3. الرمز الاسطوري:

يقصد بالأسطورة «تلك المادة التراثية التي صيغت في العصور الإنسانية الأولى وعبر بها الإنسان في تلك الظروف الخاصة عن فكره ومشاعره اتجاه الوجود. فاختلط فيها الواقع بالخيال، وامتزجت معطيات الحواس والفكر واللاشعور، واتحد فيها الزمان كما اتحد المكان، .. واتحدت أنواع الموجودات من إنسان وحيوان ونبات، والتحمت في كل متفاعل مع مشاهد الطبيعة، وقوى ما وراء الطبيعة واتخذت من التجسيد الفني –وهو لغة الشعر الحق- وسيلتها للتعبير عن كل خلجة من شعور، وكل خاطرة من فكر، في تلقائية عذبة محببة تنطوي على إيمان عميق بأنها تعبير عن حقيقة الوجود "[33]

غاية الشاعر المعاصر حين يوظف الأسطورة هو البحث عن حقيقة الأشياء، والكشف عنها، كما لا ينبغي على الشاعر أن يأخذ الأسطورة كما هي،وإنما ينبغي عليه أن يبحث عن العلامات الدالة في الشخصية الأسطور يةّ،فبعض الشخصيات الأسطورية لا تصلح موضوعا معاصرا على الإطلاق، وذلك لانعدام ال علامة الدالة، فيما يبقى بعضها الآخر صالحا للتوظيف، فالشاعر لا يلجأ إلى الأسطورة كمادة جاهزة، إنما يشكل أسطورته من خلال تجربته الشعرية، والشعر ليس حشوا للأساطير والرموز، وإنما هو رؤيا قبل كل شيء، وهو يتصرّف في الرمز أو الأسطورة بحسب ما تتطلبه تجربته الشعرية.

نلمسفي ديوان "صحوة الغيم" وعي الشاعر في أن جمالية الأسطورة والرمز لا تكمن في توظيفهما فحسب، وإنما تكمن في طريقة توظيفهما ومدى انسجامهما مع السياق والمعنى. ومن ثم لم يتكلف في توظيفها، مما اكسبها سمة فنية ازداد بها الديوان أثرا وجمالا فنيا، وكمثال

المنارة للاستشارات
ww

على التوظيف الجمالي للأسطورة ما ضمّنه الشاعر من أفكار تتعلق بأسطورتي الموت والبعث، وأسطورة طائر الفنيق، في قصيدة "تاء لذاكرة البنفسج" في قوله:

" نحن أول ما كان في أول الكون

آخر ما سوف يبقى

لنا هبة الرّوح في خفقه الرمل" [34]

وفي قصيدة "زاي لم يكن" في قوله:

" لم يكن غائبا

كان يسكن ظل الرماد

وينفخ في جمره المستتر " [35]

فالشاعر جعل نفسه مثل العنقاء، وهو ذلك الطائر الأسطوري المتجدد في الحياة، الذي يُبعث بعد موته من جديد، فالعنقاء مثلا تتخذ أشكالا متعددة، فتارة يكون هذا الرمز: "الأسطورة"، الذات الشعرية نفسها، وتارة أخرى نجده يرتبط بحلم من أحلام الشاعر، ولعله الظاهر في توظيف الشاعر لهذه الأسطورة، فالشاعر أراد لشعوره بالغربة والوحدة في الواقع الذي يعيشه أن يحترق، لينبعث حلمه كطائر الفنيق في زمن آخر جديد، لعله زمن الصحو الذي ينشده بعد أن غطّى الغيم في حياته كل شيء، وهوما عبر عنه إهداء الشاعر في أول ديوانه حين قال:

" صحوة أنتظرها

وغيمة أتوقعها

وأبجدية تعبر بمائها سلطان المسافات" [36]

لقد أبان الشاعر عن وعي، وقدرة فائقة في توظيف الرمز الأسطوري بشكل فني رائع حيث استطاع أن يربط ربطا موفقا بين الأسطورة وبين ما يريد أن يعبر عنه، لأن جمالية الحضور الأسطوري تكمن في" القدرة على التضمين حيث لا يبدو من الأسطورة إلا عناصرها الدالة أما عناصرها الصريحة فقد أخفاها الشاعر، ليبتعد بالتعبير عن الدلالة المباشرة، ويلقي به على عالم الأسطورة الغامض" [37]. فقد كان هدفه الأساس هو البحث عن الخلاص الكلي إيمانا منه أن وراء كل ظلمة نورا، وبعد كل غيمة صحوا، وأن الموت نفسه وسيلة إلى

المنارة للاستشارات
ww

الحياة حين لا تبقى أية وسيلة أخرى، فكان ارتباط وثيق بين معاني الغربة ومعاني اليقظة والتجدد والبعث.

خاتمة:

نخلص في نهاية هذه الدراسة فإلى مجموعة من النتائج نجملها في الآتي :

- وظف الشاعر" عبد الله العشي" الرموز في ديوانه "صحوة الغيم"، توظيفا فنيا راقيا أسهم في تعميق الدلالة، ينم عن نضج تجربته الشعرية، وتفكيره العميق، واتساع أفقه.

- استطاع عبد الله العشي أن يحول اللغة الشعرية إلى لغة رمزية، تستمد قدرتها الإيحائية من تجاوزهاللواقع.

- استحضارالشاعر للأسطورة، كان من باب تقريب الصورة وتجليتها، فالشاعر لم يتكلّف في توظيفها، مما أكسبها سمة فنية ازداد بها الديوان أثرا وجمالا فنيا.

- إن القارئ لديوان الشاعر " عبد الله العشي"، يلحظ بشكل ملموس فنية الشاعر وحذاقته في بناء نصه الشعري وتشكيله، فشعره يزخر بالبُنى التي يخالف فيها الأصل وهذه المخالفة تضفي في الوقت ذاته ،سمة جمالية وفنية، فكان للتجاوز/الانزياح دورا في خلود قصيدته، بتضافر جملة من المعطيات، أضفت سمة الجمال على شعره وعلى رأسها ظاهرة الخروج عن السنن اللغوية المألوفة.

الاحالات والهوامش:

[1] - علي عشري زايد: عن بناء العصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سيناء للطباعة والنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، ط4، 2002 م، ص: 104.

[2] - أدونيس: زمن الشعر، دار الساقي للطباعة والنشر، ط6، بيروت، 2005، ص: 160.

[3] - شايف عكاشة، مقدمة في نظرية الادب، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، ج1، د ط، د ت، ص:25

[4] - د احمد قيطون: الرمز والتجديد المستحيل، مجلة مقاليد، العدد1، جوان 2011، ص: 120.

المنارة للاستشارات
ww

[5] - إبراهيم خليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار الميسرة للطباعة والنشر، عمان، ط 4، 2007، ص: 332.

[6] - عبد الله العشي، صحوة الغيم، دار فضاءات، عمان، د ط، 2014،ص: 13.

[7] - المصدرالسابق، ص: 13.

[8] - المصدر نفسه، ص: 13

[9] - عبد الله العشي، صحوة الغيم، ص: 14

[10] - المصدر نفسه، ص: 14.

[11] - المصدر نفسه، ص: 28

[12] - عبد الله العشي، صحوة الغيم ، ص: 28.

[13] - محمد عروس: مملكة الحروف وصناعة الأكوان الشعرية في صحوة الغيم مقاربة عرفانية ، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة الجلفة ، العدد 2، المجلد 12، 2020،ص: 170.

[14] -عبد الله العشي، صحوة الغيم، ص: 9.

[15] -المصدر السابق، ص: 9.

[16] المصدر نفسه، ص: 9.

[17] -عبد الله العشي: صحوة الغيم، ص: 9.

[18] - ينظر: كمال رايس: المرجع السابق، ص: 6.

[19] - عبد الله العشي، صحوة الغيم، ص: 13.

[20] - عبد الله العشي، المصدر السابق، ص: 13.

[21] - المصدر السابق، ص: 14، 15.

[22] - المصدر نفسه، ص: 20.

[23] - عبد الله العشي: المصدر السابق، ص: 20.

[24] - عبد الله العشي: المصدر السابق، ص: 26.

[25] - المصدر السابق، ص: 26.

[26] - المصدر نفسه، ص: 26.

المنارة للاستشارات
ww

[27] - عبد الله العشي، صحوة الغيم، ص: 27.

[28] - عبد الله العشي، صحوة الغيم، ص: 31، 32.

[29] - المصدر السابق، ص: 32.

[30] - عبد الله العشي: صحوة الغيم، ص: 37.

[31] - عبد الله العشي: صحوة الغيم، ص: 122.

[32] - المصدر السابق، ص: 123

[33] - نعيم اليافي، تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق 1982، ص: 306.

34 - عبد الله العشي: صحوة الغيم، ص 27.

35 - المصدر نفسه، ص 61.

36 - المصدر السابق، ص: 5.

37 - محمد عروس: التجريب في الشعر الجزائري المعاصر، نصوص " من دس خفّ سيبويه في الرمل؟"، ص: 318.

المنارة للاستشارات
ww